مشهدان مألوفان معروفان ليل نهار لمن له بصر، يعرضان في مسرح التدليل على ربوبيته تعالى إثارة في مشاعرنا وهلة الجدة وإحساس التطلّع الحي والتأمل الذي لا يبلّده التكرار.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾:

من إختلاف الليل والنهار هو مجيء كلّ خلف الآخر بنظام دون فوضى، وهكذا يفسر قول النبي ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة» فإنه اختلافهم إليه وإلى رباني الأمة، ومنه اختلافهما عن بعضهما البعض في الطول والقصر حسب أيام السنة، وحسب مختلف الآفاق، واختلافهما في الآثار المترتبة عليهما: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾[1].

فالاختلاف قد يعني الائتلاف بإتيان شيء أو شخص خلف آخر إفادة أو استفادة، وأخرى هو التضاد بجعل كل خلف الآخر تخالفاً في المرام وتضاداً في المرام.

والقرينة الأدبية المميزة لكل عن الآخر هي الظرف المتعدي به الإختلاف، فالاختلاف «في» أو «عن» وما أشبه هو من الثاني، والإختلاف «إلى» أو «ل» وما أشبه هو من الأوّل، والمجرد عن الظرف يحتملهما إلّا أن يتعين أحدهما بقرينة أخرى كـ ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فإنه من الأول ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[2] حيث هو من الثاني.

فليس مجرد «الإختلاف» دليلاً على أحدهما حتى يقال: «اختلاف أمتي

(١) سورة النبأ، الآيات: ٩-١١.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٨.

رحمتي» هو اختلاف المذاهب؟ فإنه خلاف الرحمة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾﴾[١].

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بما خلقها وهو عبارة أخرى عن خلق كل شيء «لآيات» دالات على النظام المقصود بربوبية قاصدة ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ المحاظير، فحين تدل طبيعة الحال في الكون المنضّد المنظوم على أن وراءه منضّد ومنظّم، فنكران وجوده تعالى خلاف التقوى، وهو من الطغوى فـ ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾[٢].

فحين يقف الإنسان لحظات يراقب أمامه من ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ويستعرض ذلك الحشد العظيم الحاشر الذي لا يحصى من مختلف ألوان الخلق، يمتلئ مستفيضاً بما يغنيه ويعنيه من الحياة الإنسانية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾:

آيات اللقاء الأربع والعشرون هي بين ﴿لِقَاءَنَا﴾ كما هنا و«لقاءه» و﴿بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾[٣] و﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾[٤] و﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾[٥] و﴿لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾[٦] و﴿لِقَاءَنَا﴾ أشمل عناية لمعاني اللقاء من الكل لمكان الجمعية التي تعني لقاءه المعرفي والعبودي ولقاءه في العمل المرضي له ككل، فلقاء الزلفى هنا، ثم لقاءه معرفة زائدة وعبودية زائدة وزلفى زائدة، وجزاء للأعمال في الأخرى.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.
(٢) سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣١.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٤.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٧.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥١.

فمن الناس من يقول لا سبيل هنا إلى معرفة الله، حيث الطريقة العلمية التجريبية لا تثبته، وهو غيب مطلق لا يمكن الوصول إليه بأية وسيلة، فلو أنه كائن فلا سبيل لنا إلى معرفته فلا لقاء له معرفياً، ولم لم يرنا نفسه لو أنه كائن؟ أفعاجز عن إراءة نفسه فهو القاصر في حقل معرفته، وما نحن بمقصرين! أم قادر ويبخل؟ فهو المقصر في قصور معرفته دوننا!.

ثم لو أنه كائن وعرفناه، فما لنا أن نتعرف إليه كما يحق، أو نعبده كما يحق، فحق لنا - إذاً - أن نعبد من عباده الرعيل الأعلى العارفين إياه.

ولكن الطريقة العلمية نفسها مما تثبت وجود الله، إضافة إلى كافة البراهين الصالحة، فلا يملك أي كائن ما يملكه الله من البراهين الساطعة على وجوده وتوحيده، وليس من الممكن أن يرينا نفسه إلّا أن نحيط به علماً وهو ألوهية ثانية، والمحال الذاتي لا يتحول ممكناً حتى يحوّله الله إلى الإمكان، فنتمكن - إذاً - من رؤيته!.

وأما عبوديته، فهي المستحقة له لا سواه، وقد رضيها لنفسه دون سواه، وذلك من حنانه ومنّه الخاص أن رضي منا أن نعبده دون سواه.

ثم منهم من يعترف بوجوده تعالى ووحدته ولكنه يقول: لا سبيل لنا إلى معرفة الحياة بعد الموت، رغم أنها ضرورة لا حول عنها قضية الحكمة العادلة الربانية؟ ولكنها ضرورة في ميزان العقل والعدل والوحي لا حول عنها، والتصديق عقيدياً وعملياً بحقيقة لا يلازم الحيطة الكاملة على هذه الحقيقة، مبدأً ومعاداً، فقد تكفي المعرفة الإجمالية المستطاعة، إذ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1].

ذلك، ولقاء الله بأسمائه الحسنى بين مفروض ومستحيل وواقع، فالواقع

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

على أية حال هو الصلة الذاتية لكل الكائنات بدائب الرحمة الإلهية، حيث لا ينقطع أي مخلوق عن الخالق إلّا بانقطاعه عن كونه، لأن الفقر الذاتي للمخلوق كوناً وكياناً إلى الله يجعله دائم الصلة بالله وهذه هي اللقاء الواقع، حاصلاً دون تحصيل، والمستحيل هو لقاء ذاته تعالى وصولاً إليها بحيطة شاملة علمياً ومعرفياً، وهو باين عن خلقه وخلقه باين منه، لا هو في خلقه ولا خلقه فيه.

ثم المفروض هو اللقاء المعرفي بكونه تعالى وتوحيده وكل شؤون ربوبيته، هنا تكليفاً وما أشبه من شؤون نشأة الامتحان، وفي الأخرى حساباً وجزاءً وفاقاً.

و﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ هم كل هؤلاء الذين ينكرون كل هذه اللقاءات أم بعضها، وذلك النكران كفر كله مهما اختلفت دركاته حسب دركات النكرانات.

هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ تاركين الحياة العليا، إنهم ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ وهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

هنا ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ تعم ناكري المبدإ والمعاد - حيث تعني آيات المبدإ والمعاد - وكذلك وناكري المعاد تصديقاً بالمبدإ مشركين وموحدين، و﴿ءَايَٰتِنَا﴾ تعم الآيات التكوينية - آفاقية وأنفسية - والتدوينية، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ تعني الغفلة المتعمدة المقصرة حيث الغافل القاصر لا يعذب.

ذلك ومن قبل هؤلاء الذين يحملون ثالوث ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا - وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا - وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾. هم كلهم ﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

هنا ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ معناه انحصار رضاهم بها وانحسارها عن الأخرى، كما ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ تعني ذلك الانحصار الانحسار.

ذلك و«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»[١] ووفقه للقائه الصالح بكل حقوله.

ومما لا بد منه في الحياة هو الاطمئنان بما يطمئن عن المضلات والمزلات، فالنفس المطمئنة بالله لا ترضى إلا ما يرضاه الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[٢]، والمطمئنة بالحياة الدنيا تختص رضاه وهواه بما يطمئن بها، وقد تخاطب النفسان بـ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾[٣].

فالمطمئنة بالحياة الدنيا، الفارة الفالتة عن ربها، تدعى لترجع إلى ربها يوم الدنيا ما لم يفت الأوان، دخولاً في عباد الله الصالحين هنا فدخولا في الجنة هناك.

ثم المطمئنة بربها تدعى لترجع إلى ربها هنا أكثر مما رجعت، وفي الأخرى ترجع إليه ﴿رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾[٤]: «والدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب»[٥] ذلك وسلبية الرجاء للقاء الله في يوم الحساب تسقط كل حساب فيسقط الوحي عن

(١) مفتاح كنوز السنة عن النبي ﷺ نقلاً عن بخ - ك ٨١ ب ٤١، ك ٩٧ ب ٣٥، مس - ك ٤٨ ح ١٥ - ١٨ تر - ك ٨ ب ٦٧، ك ٣٤ ب ٦ قا، نس - ك - ب ١٠، مى - ك ٢٠ ب ٤٣، ما - ك ٢٦ ح ٥٠، حم - ثان ص ٣١٣ و٣٤٦ و٤١٨ و٤٢٠ و٤٥١، ثالث ص ١٠٧ و١٢٢، رابع ص ٢٥٩، قا خامس ص ٢٣٨ و٣١٦ و٣٢١، سادس ص ٤٤ و٥٥ و٢٠٧ و٢١٨ و٢٣٦ قاط - ح ٥٦٤ و٥٧٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٤) سورة الفجر، الآيات: ٢٨-٣٠.

(٥) الدر المنثور ٣: ٣٠١ - أخرج أبو الشيخ عن يوسف بن أسباط قال قال علي بن أبي طالب عليه السلام: . . .

بكرته، ثم ينعطف همّ الإنسان تماماً إلى الحياة الدنيا، واطمئنّ بها حيث لا مطمئنّ له إلّا إياها: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴿٣٠﴾﴾[1] و﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾[2] فهم ﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ وقدره، حيث إن ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[3] دون اللانهاية المزعومة!.

فـ «يا أيها الإنسان ما جرّأك على ذنبك، وما غرك بربك، وما آنسك بهلكة نفسك، أما من داءك بلول، أم ليس من نومك يقظة، أما ترحم من نفسك ما ترحم به غيرك، فلربّما ترى الضاحي من حرّ الشمس فتظله، أو ترى المبتلى بألم يمضّ جسده فتبكي رحمة له، فما صبرك على داءك، وجلّدك بمصابك، وعزّاك عن البكاء على نفسك وهي أعز الأنفس عليك، وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته، فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة، ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة، وكن لله مطيعاً، وبذكره آنساً، وتمثّل في حال تولّيك عنه إقباله عليك يدعوك إلى عفوه، ويتغمّدك بفضله، وأنت متولّ عنه إلى غيره - فتعالى من قوي ما أكرمه، وتواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصية وأنت في كنف ستره مقيم، وفي سعة فضله متقلب، فلم يمنعك فضله، ولم يهتك عنك ستره، بل لم تخل من لطفه مطرف عين، في نعمة يحدثها لك، أو سيئة يسترها عليك، أو بلية يصرفها عنك، فما ظنك به لو أطعته، وأيم الله لو أن هذه الصفة كانت في متفقين في القوة، متوازنين في القدرة، لكنت أول حاكم على

(١) سورة النجم، الآيتان: ٢٩، ٣٠.
(٢) سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

نفسك بذميم الأخلاق، ومساوئ الأعمال - وحقاً أقول: ما الدنيا غرتك، ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العظات، وآذنتك على سواء، ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك، والنقص في قوتك، أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرك، ولرب ناصح لها عندك متهم، وصادق من خبرها مكذّب، ولئن تعرفتها في الديار الخاوية، والربوع الخالية، لتجدنها من حسن تذكيرك، وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك، والشحيح بك، ولنعم دار من لم يرض بها داراً، ومحلّ من لم يوّطنها محلاً، وإن السّعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم»[(١)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾:

تلك ضفة الكفر وهذه ضفة الإيمان وعمل الصالحات للإيمان، وترى كيف ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ وإلى م يهديهم؟ يهديهم ربهم بإيمانهم الذي طبقوه بعمل الصالحات إلى إيمان أعلى بربهم وكما يؤمرون به ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[(٢)] كما ويهديهم إلى صالحات هي أصلح مما سلف، ثم ويهديهم بعد موتهم بإيمانهم إلى جناته: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ حيث ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾[(٣)].

﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾ على طول خط الخلود الأبد ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ عما وصفك

(١) (الخطبة ٢١٤).
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.
(٣) سورة التحريم، الآية: ٨.

به الجاهلون، وعن كل نقص وشين ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ مما يدل على أن السلام هو أعلى قمم التحيات، تحيتهم من الله وتحية بعضهم بعضاً اعتباراً بوجهي الإضافة، إلى الفاعل أو المفعول، ثم ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ التي لا دعوى لهم غيرها ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقد جمعوا حياتهم في الجنة بين كلمة السلب والإيجاب من ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وكما عاشوها في حياة التكليف.

ولا تعني «آخر» هنا آخر أعمارهم في الجنة إذ لا آخر لها ولا لأعمارهم، بل القصد إلى آخر دعواهم وجاه أول دعواهم اللذين يشكلان كلمة الإخلاص، فقد تشكل دعواهم من ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أم ليست لهم دعوى فيها إلا ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أجل، ولأنه الانطلاق من هموم الحياة الدنيا وشواغلها ومشاغلها والارتفاع عن ضروراتها وحاجاتها وحاجياتها، والرفرفة في آفاق الرضا والتسبيح والحمد والسلام، إذا فأقصى ما يشغلهم حتى ليوصف بأنه ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ هو تسبيح الله وحمده والسلام على عباده حيث يتخلل بين التسبيح والحمد.

ومهما كان في حياة التكليف غشاوات عن صالح السلب هذا وإيجابه قضية الحجابات المسدولة بين أهل الحق وحاق الحق رغم أنهم به مؤمنون، فقد تزول هذه الغشاوات عن وجه السلب والإيجاب، سلباً يحلّق على كل ما لا يليق بساحته سبحانه، وإيجاباً يحلق على كل ما يليق بجنابه، فقد يصفونه تعالى كالعباد المخلصين فـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾[2]

(١) سورة الصافات، الآية: ٣٥.
(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٥٩، ١٦٠.

وهم يصفونه في الجنة: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[١] ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[٢] ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[٣].

صحيح أن كل عباد الله يحمدون الله ولا سيما في صلواتهم ليل نهار، ولكن أين حمد من حمد، هنا محجوب وهناك غير محجوب.

وعن النبي ﷺ: «إذا قال العبد سبحان الله سبح كل شيء معه ما دون العرش فيعطى قائلها عشر أمثالها، وإذا قال: الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا حتى يلقاه بنعيم الآخرة وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها والكلام ينقطع في الدنيا ما خلا الحمد لله وذلك قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ...﴾[٤].

وقد يعني من انقطاع الكلام في الدنيا الذي يختص بحاجيات الدنيا ومحاصيلها وكما في آخر «وينقطع الكلام الذي يقولونه في الدنيا ما خلا الحمد»، فلا كلام - إذاً - في الجنة إلا ما يحول حول التوحيد مع الله وعباده، أو ما يحول حول السلام مع عباده، إذ لا حاجة لهم إلى محاويج الدنيا حتى يتكلموا بها صناعة أو زراعة أو تجارة أو دراسة أماهيه.

ذلك وعلى حد المروي عن رسول الله ﷺ: «إذا قالوا سبحانك اللّهم

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٤.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٤.
(٤) في الإختصاص بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ: . . وفي العلل بإسناده إلى الحسن بن عبد الله عن آباءه عن جده الحسن بن علي عليه السلام عن النبي ﷺ حديث طويل في تفسير «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وفي آخره قال: وإذا قال العبد الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا موصولاً بنعم الآخرة وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها وينقطع الكلام. . .
وذلك قوله عز وجل: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

أتاهم ما اشتهوا من الجنة من ربهم»[١] وتراهم - إذاً - بكماً عن أي كلام إلا هذا، فلا محادثة بينهم ولا مؤانسة بأي كلام إلا إياه؟ إنهم يتحادثون ويتآنسون مع بعضهم البعض، ولكنها كلها تحوم حوم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأية حظوة لهم روحية مثلها ثم الخطوات الجسمية هي رهن المشيئة ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٢]، فهم أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم هي كلها تفاصيل لـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ كما المؤمن المخلص في حياة التكليف، مهما كان بين الحالتين بون قضية اختلاف النشأتين، ثم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ من الله ومن أنفسهم بعضهم بعضاً ﴿سَلَٰمٌ﴾ قولياً وعملياً، فليس لهم هناك من إله ومنهم إلا سلام يشمل كافة الخيرات والبركات في الجنة.

ذلك، وقد تعني ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ بدايتها ثم ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ نهايتها، فكل كلام لهم محتف بهما مهما كان، لا يخرج عن تفاصيلهما.

أو تعني ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ ذكرهم دعاء وخطاباً، مهما كانت لهم قالات أخرى، حيث الدعوى وهي مصدر دعى تعني خصوص الدعوة الطالبة، ولا تطلب هنا إلا من الله دون سواه، خلاف الحياة الدنيا حيث هي حياة التداعي ذريعة إلى حاجياتها، ولكن المدعو هناك إنما هو الله لا سواه، وعلى أية حال فهم ليسوا ليحرموا في الجنة من قالات الإيمان ومحادثاته ومؤانساته ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[٣].

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۚ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾:

(١) الدر المنثور ٣: ٣٠١ - أخرج ابن مردويه عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: . .
(٢) سورة ق، الآية: ٣٥.
(٣) سورة فصلت، الآيتان: ٣١، ٣٢.